تعلم اللغات الاجنبية

لحرية جديدة بعيدة

« كل لسان انسان » . كذلك جرى المثل العربي القديم . اما وأنحاء العالم المتمدن اصبحت مرتبطة اوثق ارتباط بوسائل المواصلات والمخاطبات السريعة وبعملات التجارة المتبادلة ، فهذا المثل العربي القديم اصبح ضرورة يقتضيها العصر الحديث

فالمسافر الذي يرحل الى بلاد لا يعرف لغة اهلها تمرُّ امامهُ مشاهد الحياة والعمران كما تمرُّ امام عينيهِ على شاشة الصور المتحركة من دون ان يتنبه الى كنهها ، ولكنهُ اذا كان يعرف لغة القوم تمكن من التفاعل في نفسيتهم فيتجلى له ما يتكشف عما يساورهم من آمال وآلام ، ويستطيع ان يقرأ افكارهم عيانًا . افق نظره الى الحياة بل يصبح قادراً ان ينظر الى الحياة والعمران بعيونهم فكأنهُ يضيف بذلك حياة جديدة الى حياتهِ فيصدق عليه المثل العربي « كل لسان انسان » . ثم اذا كان من رجال المال والاعمال سهل عليهِ ان يتصل بعملائهِ في البلدان المختلفة ، من غير ترجمان او وسيط ، فيتحدث معهم بلغتهم ، ويبلغ في حديث ساعة من هذا القبيل ، ما لا يبلغهُ في مراسلات يتبادلها معهم بالبريد في خلال اسابيع او شهور ؟

يضاف الى ذلك ان معرفة الانسان بلغة قوم غير قومهِ ، واطلاعهُ على أدبهم وفلسفتهم يمهدان لهُ سبيل فهمهم على حقيقتها ، فلا تضطرب بهِ الاوهام والتصوُّرات في تعليل ما يقولون ويفعلون « كل مذهب . وهذا التفهم مهمة الوفاق الدولي ، الذي ينشدهُ العالم في المؤتمرات العالمية من اقتصادية وسياسية وحربية . وقد ذكر ان برنان داعية السلام في القرن العشرين قال على اثر اتفاق لوكارنو : « لقد تكلمنا لغة اوربية وهي لغة جديدة يجب ان نتعلمها » اشارة منهُ الى انهُ تفاهم بين شعوب القارة

فتعلُّم اللغات الحيَّة واجبٌ على ابناء هذا العصر سواءٌ نظرنا اليهِ من ناحية الثقافة الشخصية او من ناحية المنفعة العملية او من ناحية التفاهم الدولي

***

والطريقة المثلى لتعلُّم اية لغة اجنبية يجب ان تتصف بالصفات الآتية : —

يجب ان تكون مما يتكرر استعمالهُ في حضرة الرجل المتعلم ، كما يجب ان تكون مما يصلح للاستعمال في فرق التدريس ، جاريًا على احدث ما عرف في علم التربية من وسائل درس اللغات

ويجب ان تمكن المتعلم من التحدث بها في موضوعات الحياة اليومية مع معرفة ما تجب معرفته من قواعدها بوجه عام ليكون الكلام بها سليماً من الخطإ المزري

ثم يجب ان تمكن المتعلم من التفكير باللغة نفسها مباشرة لانه اذا فكر بلغته الاصلية وجب عليه ، لدى المحادثة ان يترجم الكلام لفظاً لفظاً وعبارة عبارة ، فلا يسلم حينئذ من العجمة علاوة على التردد والتعثر في اثناء الكلام

يضاف الى كل ذلك ان طريقة التعليم يجب ان تمكن المتعلم من النطق باللغة كابنائها وبلهجتهم فاذا خاطبهم بها لم يحسب بينهم غريباً

* * *

قرأنا منذ بضع سنوات كتاباً للكاتب الانكليزي المشهور المستر ولز (H. G. Wells) عنوانه « خلاص الحضارة » عرض فيه ، في فصل مسهب لمشكلة التعليم والطرق التي يجب ان تتبع لكي يخرج المتعلم كامل التعليم مثقفاً مهذباً يصلح ان يعيش في عالم يقتضي الترابط بين اجزائه التفاهم التام بين طوائفه وشعوبه . وفي الصفحة (١٦٠ — ١٦١) قال ما يأتي في تعليم اللغات : —

« ان المدرسة الحديثة يجب ان تحتوي على عدد كبير من الجراموفونات . ولكنها لا تستعمل في تعليم الموسيقى والتمرينات الرياضية فقط بل في تعليم اللغات كذلك . فبدلاً من ان يضطر معلم اللغة الى التظاهر بانه يجيد اللغة الاجنبية التي يدرسها لتلاميذه ، وهو لا يعرف الا مبادئها ، يصبح عوناً لاداة التعليم الكاملة — وهي الجراموفون ..... وفي السنة الاولى من تعلم اية لغة اجنبية يسأر المعلم اقراص الجراموفون فيتعلم التلميذ منها اللهجة السليمة والنطق الصحيح . وتدرس كل لغة في مختلف اقطار العالم بلهجة واحدة ومقدار واحد من المصطلحات — وهو عمل مرغوب فيه »

كانت امنية المستر ولز مقدمة لاستنباط الطريقة الجديدة في تعلم اللغات التي جعلناها موضوع هذا المقال . فان للمستر وُسْتُن تدبير امنية المستر ولز بعد ما عالج تعليم اللغات خمساً وعشرين سنة وخبر نقائصه ومقتضياته فخطر له ان يحقق هذه الامنية فانشأ طريقة اللنجوافون

وأساس هذه الطريقة ان من يرغب في تعلم لغة اجنبية يجب عليه ان يتعلمها كما يتعلم الطفل الكلام . فان الطفل يصغي اولاً الى من يتكلم حوله فتختزن ذاكرته الاصوات ومعانيها ، فاذا نضجت اعضاء النطق فيه نطق بالالفاظ كما سمعها من والديه واخوته وغيرهم ممن يحيط به . فالمستر رستن بأستاذ انكليزي فوضعا ثلاثين درساً انكليزياً تتناول موضوعات الحياة اليومية ووضعا لكل درس صورة تحتوي على الاشياء المذكورة في الدرس . ثم جعل الاستاذ ينطق

بالجمل التي في الدرس ، بما هو مشهور عنهُ من سلامة اللهجة وفصاحتها ودون ذلك على قرص من اقراص الجرامرفون . وطبعت الجمل في صفحة من كتاب امام الصورة . وفعلا ذلك في بقية الدروس . وهذه الدروس مفسرة بلغة كل طالب الخاصة . فهي مفسرة بالالمانية للالماني وبالفرنسية للفرنسي

فاذا شاء رجل ان يتعلم الانكليزية أخذ هذه الاقراص التي دوّنت عليها الدروس المختلفة ، ووضع القرص الاول على الجرامرفون وأداره وجلس يصغي اليهِ . وهو ينظر الى الصورة . فيتعذر عليهِ اولاً ان يتبين الالفاظ ومقاطعها . ولكنهُ يعيد الكرة على القرص نفسهِ ثانية وثالثة ورابعة حتى ترسخ الالفاظ في ذهنه . وهو في اثناء ذلك ينظر الى الصورة فيربط بين الاسماء ومسمياتها . فيتعلم اللغة الاجنبية كما يتعلم الطفل لغة والديهِ

ثم ينتقل الى الدرس الثاني فالى ما يليهِ وهو في خلال ذلك يزداد تثبتاً للالفاظ ومقاطعها ، وفهماً لمعانيها ، فاذا حاول بعد بضعة دروس ان يقول جملة باللغة الجديدة التي يتعلمها قالها بداهةً بلهجة ابنائها من دون ان يعمد الى ما يريد ان يقولهُ ثم الى اختيار اللفظ الموافق لهُ ثم الى التفكير في بناء الجملة بحسب القواعد المرعية

هذه هي الفكرة التعليمية التي تقوم عليها الطريقة الجديدة . وقد جرّبت فرفت بالغرض المقصود ايّما وفاء . وهي تستعمل الآن فيما يربي على ٨٠٠٠ مدرسة في انكلترا والمانيا والسويد والنروج وفرنسا وغيرها . وشهد لها كبار الادباء والمعلمين بالفائدة التي تجنى من استعمالها . وقد قرأنا عن فتى كان يتعلم في المدرسة بلندن اللغة الاسبانية وكان يستعين على تعلمها بطريقة الفنجرافون في داره . فلما جاء الممتحن الاسباني الى لندن ليمتحن الطلاب ، عجب لهجة هذا الفتى الاسبانية وسألهُ في اية مدرسة من مدارس اسبانيا درس اللغة الاسبانية

***

ولما وثق المستر رستن من وفاء هذه الطريقة بالغرض التي انشئت لهِ استعان باكبر اساتذة اللغات في البلدان المختلفة لوضع دروس في اللغات المختلفة فثمة دروس انكليزية لابناء الالمان والفرنسيين وغيرهم وثمة دروس فرنسية لابناء الانكليز والالمان والايطاليين وغيرهم ودروس المانية لابناء الفرنسيين والانكليز ودروس ايطالية واسبانية الخ والمعهد معنيٌّ الآن بوسم الكتب والدروس اللازمة للناطقين بالعربية

واذا كان ثمة من يعرف لغة من اللغات واراد ان يتوسع في ادبها وجد اقراصاً في بعض اللغات وقد دوّنت عليها قطع ادبية مختارة كما يتلوها افصح الفصحاء ، والى جانبها كشف تفسّر ما غمض منها . فالطريقة مستكملة للشروط التي يجب ان تتوافر في تعليم لغة اجنبية وعسى انها من افضل ما ينفق فيهِ المثقفون جانباً من اوقات فراغهم